وعلامة الحذر المحمود أن يُمضي العمل، فهو حذر يتبعه عمل في العاجل أو الآجلبحسب مقتضى الحال، كما بيّن سبحانه في كتابه: {خذوا حذركم فانفروا}، فبعد أن أمرهم بالحذر أمرهم بالنفير. وأعظم من جمع بين الحذر والعمل هو نبينا محمد صلى اللّه عليه وسلّم، فلم يمنعه الحذر والأخذ بالأسباب من إنفاذ أمر اللّه بالهجرة والجهاد، فقد توارى في الغار متخفيا مطاردا ثم شقّ طريقه إلى المدينة، ليقود بعدها فصول المواجهة مع المشركين كافّة وهم أضعاف عدد المسلمين، وعلى نهجه سار الصحابة رضوان اللّه عليهم بعد موته، فلم يعطلوا جهاد المرتدين وجيوش الروم والفرس الملاعين رغم أعدادهم وعُددهم الهائلة، وبهذا المنهج النبوي يكون الحذر دافعا للجهاد لا مانعا له. إن إمضاء الجهاد بعد الحذر ورغم مخاوف القتل والأسر والكسر والبتر، دلالة على صدق العبد مع ربه، ورغبته فيما عنده حقا، وقد حضت آيات اللّه تعالى في كتابه أهل الإيمان على أن يغلّبوا خوف ربّهم على خوف أعدائه،فقال سبحانه: {ألا تقٰتلون قومًا نّكثوٓا أيمٰنهم وهمّوا بإخراج الرّسول وهم بدءوكم أوّل مرّةٍ أتخشونهم فاللّه أحق أن تخشوه إن كنتم مّؤمنين}، وبيّن أن الخوف المانع من الجهاد هو تخويف من الشيطان فقال تعالى: {إنّما ذٰلكم الشّيطٰن يخوّف أولياءه}، فالجهاد عبادة بين خوفين، خوفٍ من تبعاتها وخوفٍ من ترك أمر اللّه بالامتثال لها، والصادق من يغلّب خوف اللّه تعالى على خوف النّاس. ومن عجائب الجهاد في سبيل اللّه، أنه ما إن يتمثل العبد أمر ربه ويرغم نفسه على القتال في سبيله، حتى تتنزل عليه السّكينة، ويذهب عنه الخوف رغم وجود أسبابه، بل

ربما تكون أشد، وتدبر قوله تعالى عن المسلمين في أحد، وهم بين يدي القتل والقتال: {ثمّ أنزل عليكم مّن بعد الغمّ أمنةً نّعاسًا يغشٰى طائفةً مّنكم..}، وروى البخاري في صحيحه عن أبي طلحة -رضي اللّٰه عنه- قال:"كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي من يدي مرارا يسقط وآخذه، يسقط فآخذه"، وهذا الحال مايزال المجاهدون في سبيل اللّٰه يعيشونه في معاركهم مع أعدائهم حتى اليوم، وهذا من فضل اللّٰه عليهم، وتثبيته لهم، فتأمل كيف يظفر المجاهد بالأمن والنّجاة في موطن الخوف والهلاك حيث ظنّوا أنه المنجى والخلاص، والجزاء من جنس العمل. فالمجاهد يحتاج للتفطن لهذه الدقائق واللطائف حتى لا يوقف عمله من أجل خوف يظنه حذرا والعكس كذلك، فإن الحذر لا يوقف العمل بل يمضيه وينظمه وينقيه من التهور والطيش، فيكون جهادا متوشحا بالحذر المحمود منتصرا متغلبا على الخوف، حاصدا بذلك خيري الدنيا والآخرة كما كان على عهد النّبوة والرعيل الأول، {ولينصرنّ اللّٰه من ينصره إنّ اللّٰه لقويٌّ عزيزٌ}.